قراءة في مواضع وقرى الحجاز التي
ذكر فيها الأنصار حسب مرويات عرام

كتبها:

عبدالرحمن الحازمي

كان الأوس والخزرج أهل يثرب قبل الإسلام ، وعند إسلامهم كان لهم فضل استقبال الدعوة الإسلامية في بلادهم دون سائر القبائل ودون سائر بلاد الجزيرة العربية. فاستقبلوا و ناصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم و آووا المهاجرين . فسماهم الله ورسوله بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان ، وسميت بلادهم بالمدينة النبوية.

فلم يعودوا يقبلون أن يدعوا بغير اسم الأنصار حتى بالأوس وبالخزرج ،وما كانوا أيضا ليتخلوا عن مسمى الأنصار إلى مسميات عشائرهم التي منها بني سالم وبني عمرو وبني عوف ...الخ. وما ذكرت هذه الأسماء في وثيقة المدينة التي كتبت فور استقرار النبي صلى الله عليه وسلم بينهم، إن صحت؛ إلا لكونها اتفاقية تنظيمية تم تفصيلها للتأليف بين فئات مختلفة من سكان المدينة ، وقبل أن تشتهر تسميتهم بالأنصار تدريجيا، فلم يعد يطلق عليهم سوى اسم الأنصار، كما لم يعد يطلق على مسمى بلادهم سوى اسم المدينة النبوية.

وإبان توسع الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية وصدر الدولة العباسية ،وترامي أطرافها. انتقل غالبية الأنصار من المدينة، وافترقوا على أقطار الأرض للمشاركة في الفتوحات، أو لأسباب سياسية تمثلت بالابتعاد عن حيف الولاة. حتى أقفرت منهم المدينة ،فلم يبق منهم فيها إلا النزر اليسير.

ذكر عرام بن الأصبغ السلمي (ت٢٢٥هـ تقريبا) في مروياته عن أسماء جبال تهامة وسكانها في القرن الثاني الهجري ،تواجد بعض الأنصار في عدد من قرى الحجاز وتهامة ، و عرام أحد البلدانيين المتقدمين الذين نقل رواياته جمع من العلماء ،الذي يعتقد بأنه ولد في الحجاز ثم نشأ خارج الجزيرة العربية، وانتقل إلى خراسان سنة ٢١٧هـ وهو في سن متقدمة. وله إن صح؛ مرويات في كتاب العين للفراهيدي الذي توفي بعد أن خرج من خراسان سنة ١٧٥هـ .

تواجد الأنصار في الحجاز حسب مرويات عرام في سبعة قرى ومواضع ،كأفراد وجماعات إلى جانب قبائل أخرى في أماكن مختلفة ومتباعدة في القرن الثاني الهجري. غير أن البلادي رحمه الله قد عقب على مرويات عرام وأحصى (٤٨) خطأ قد وقع فيها عرام في رسالته التي لا تتجاوز (٩) صفحات حسب مخطوطة حيدر أباد. ليؤكد "بأن عراما لم ير الحجاز ولا مشى فيه ولا صرح هو بذلك ، إنما كان يستروي من الأعراب الذين يفدون عليه" .

إن القرى السبعة التي ذكرها عرام ، تقع منها اثنتان داخل ديار قبيلة حرب الحالية ولم تنزلها قبيلة حرب إلا بعد عصره ، واثنتان في حدودها وتشترك في سكناها مع قبائل أخرى ، وثلاثة قرى في ديار قبائل مختلفة وبعيدة عن ديار قبيلة حرب. وهي على النحو التالي:

١-الصفراء :-

يقصد عرام بالصفراء قرية الواسطة حاليا، وليس كل الوادي الذي عرف باسمها. وقد أخطأ بأن جعل الصفراء فوق ينبع بينما هي جنوبه كما أخطأ أن جعل ماء الصفراء يجري إلى ينبع بينما هما متوازيان حيث يصب ماء الصفراء في الجار وكذلك عندما ذكر بأن رضوى في غربه بينما هي في شماله. وقد ذكر عرام بأنه "يسكنها كل من جهينة والأنصار وبني فهر ونهد". إلا أنه لا تتواجد هذه القبائل في الصفراء الان.وهي في هذا الوقت من ديار بني سالم من حرب. علما بأن قبيلة حرب لم تنزل الصفراء إلا في القرن الثالث الهجري أي بعد عصر عرام السلمي كما يستشف من كتاب الإكليل للهمداني والهجرة والوصية لابن القاسم الرسي.

٢-الفرع :-

ذكر عرام بأنه" يتواجد بها كل من قريش والأنصار ومزينة". ولا تتواجد هذه القبائل في الفرع الان. وهي في هذا الوقت من ديار بني عمرو من حرب. علما بأن قبيلة حرب لم تنزل الفرع إلا في القرن الرابع الهجري أي بعد عصر عرام حسبما ذكر ذلك البلخي في كتابه صور الأقاليم وتاريخ الوزير أبي غالب.

٣- ينبع :-

يقصد بها في ذلك الوقت ينبع النخل . وقد ذكر عرام بأن "سكانها الأنصار وجهينة وليث". وهي من ديار قبيلة جهينة قديما وفي هذا العصر أيضا ويشترك في سكنها معهم قبيلة حرب في الجزء الجنوبي منها وليس للأنصار وبني ليث أي تواجد أو ذكر بها الآن.

٤-الرحضية :-

ويقال لها الأرحضية وتقع شمال الضميرية بين المدينة النبوية والمهد التي كانت تعرف بمعدن بني سليم . وقد ذكر عرام "بأنها قرية للأنصار وبني سليم". وهي من ديار قبيلة سليم قديما وفي هذا العصر تختلط فيها قبيلتا مطير وحرب. وليس للأنصار أي تواجد بها الآن .

٥-النازية :-

عين تقع بالقرب من جبال أبلى على ثلاثة أميال من السوارقية وهي غير النازية التي في وادي الصفراء بحسب سياق النص لعرام. وقد ذكر عرام بأنها "عين لبني خفاف من سليم والأنصار فتضادوا فسدوها". وهي من ديار قبيلة سليم قديما ،وفي هذا العصر من ديار قبيلة مطير وليس للأنصار أي ذكر أو تواجد بها الآن.

٦-خيف سلام :-

يقع بالقرب من وادي سايه. وقد ذكر عرام بأنه "يسكنه كل من جشم وخزاعة وهذيل وسمي الخيف برجل من أغنياء البلد من الأنصار اسمه سلام". وخيف سلام من ديار قبيلة سليم قديما، وفي هذا العصر أيضا. وليس هناك أي تواجد لقبائل خزاعة وهذيل به الآن وللأنصار تواجد بسيط في بعض قرى وادي ساية وهم قلة ولهم شهرة واستفاضة بين من يجاورونهم في انتسابهم للأنصار.

٧-الحوية :-

ذكرت مصحفة بالجونة، كما نبه لذلك كل من الشيخ حمد الجاسر والشيخ عاتق البلادي. وتقع بين مكة والطائف من جهة السيل . حيث ذكر عرام "بأن راسب لخثعم والحوية للانصار". وهي الان من ديار قبيلة عتيبة وتحادها قبيلة هذيل وليس للأنصار أي تواجد بها ولاحتى قبيلة خثعم التي تبعد ديارها كثيرا عن الحوية وقد يكون التبس على عرام الأمر بين خثعم وبني عمومتهم التي تقع ديارها في جنوب الطائف أيضا وليس في الحوية.

الخلاصة:

إن من يفترض أن قبائل بني عوف وبني عمرو وبني سالم من الأنصار وليست من حرب. بهذا المنطق متجاهلا نسبتهم المشتهرة والمستفيضة والمتناقلة عند أبنائها عن أجدادهم بأنهم من حرب ومتجاهلا نصوص المتقدمين الذين ذكروا نسبتهم إلى حرب كالهمداني والحمداني والمطري وغيرهم. زعما بأن عراما قد ذكر تواجد أفراد وجماعات من الأنصار في ديارهم في القرن الثاني الهجري.

فإن هذا المنطق الذي إن عمم سيجعل من جميع القبائل التي تسكن أغلب المواضع التي ذكر عرام فيها الأنصار، كجهينة وسليم ومطير وعتيبة وهذيل سينتسبون بذلك إلى الأنصار وهذا مالا يقبله العقل والمنطق، ولا يعد دليلا يعتد به .

كما أن فيه إخراج للناس من أنسابهم بهذا الافتراض الواهي، دون بينة ولاشهرة ولا استفاضة. خاصة وأن قلتهم قد أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم ،حيث ذكر أنهم "سيقلون ويصيرون كالملح في الطعام" كما أخبر عن فناء قبيلته قريش وهي من معجزاته وإخباره عن المغيبات وما استثناه عليه صلوات الله وسلامه من أن نسبه وسببه بأنه لن ينقطع.

لقد لاحظ جمع من العلماء والرحالة قديما قلة الأنصار عبر عصور مختلفة، ونصوا على ذلك كالقاضي عياض وابن حزم وابن دحية وابن سعيد والتجيبي وابن فرحون والسخاوي وابن خلدون وابن حجر والمقريزي وابن تغري بردي وعبدالرحمن الانصاري وبوركهارت وابن طوير الجنة وابراهيم رفعت باشا وحماد الأنصاري ولايكاد ينكره أحد في هذا العصر كما أن بقيتهم لازالوا يحفظون أنسابهم ويتواجدون في بعض قرى الحجاز كوادي فاطمة ووادي ساية وغيرها.

المصادر:

1. أخبار قبائل الخزرج، عبدالمؤمن الدمياطي
2. الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، ابن قدامة المقدسي
3. أسماء جبال تهامة وسكانها ،عرام بن الأصبغ السلمي
4. الأغاني، أبي الفرج الأصبهاني
5. الإكليل في أنساب اليمن وأخبار حمير ، الحسن الهمداني
6. الأماكن ما اتفق لفظه وافترق مسماه ، أبو بكر الحازمي
7. إنباة الرواة على أنباء النحاة، جمال الدين القفطي
8. تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، عبدالرحمن الأنصاري
9. جمهرة أنساب العرب ، ابن حزم
10. صور الأقاليم ، أبو زيد البلخي
11. العبر وديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون
12. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي
13. قلة الأنصار في الأحاديث والآثار، فائز البدراني
14. مجلة المجمع العلمي العربي(مقالة عن كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها، حمد الجاسر
15. مجموع كتب القاسم بن إبراهيم الرسي(كتاب الهجرة والوصية)، محمد بن القاسم الرسي
16. محراث التراث، عاتق البلادي
17. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري
18. معجم الأدباء، ياقوت الحموي
19. معجم البلدان، ياقوت الحموي
20. معجم ما استعجم ، أبو عبيد البكري
21. معجم معالم الحجاز ، عاتق البلادي
22. المناسك وأماكن طرق الحج، أبو اسحاق الحربي
23. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي
24. نسب حرب ، عاتق البلادي
25. نهاية الإيجاز في إثبات سكنى الأنصار في الحجاز، عبدالرزاق الصاعدي
26. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، نور الدين السمهودي